مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | ISSN: 2437 - 0363 EISSN 2602-6767 | المجلد 12 / العـدد: 01 (2026)، ص 582- 599

النشاط التجاري الحمادي ودوره في توطيد وتمتين الصلات والعلاقات الخارجية بين الدول خلال العصر الوسيط

The Commercial Activity of the Hammadid State and Its Role in Strengthening Foreign Relations Between States During the Medieval Period

د. خليلي بختة[1*]

[1] جامعة غليزان (الجزائر)، bakhta.khelili@univ-relizane.dz

تاريخ الاستلام: 2026/01/21 تاريخ القبول: 2026/04/20 تاريخ النشر: 2026/06/05

ملخص:

لا طالما اعتبر النشاط التجاري الخارجي للدولة الحمادية أساسا من أسس الاقتصاد الحمادي الذي امتاز بالرواج مع أغلب الدول خلال هذه الفترة ، أين عمل على توطيد وتمتين الصلات والعلاقات السياسية والثقافية وحتى الاجتماعية بين مختلف الأجناس، ولم يكن للدولة الحمادية التي بسطت نفوذها وسيطرتها على بلاد المغرب الأوسط لفترة معتبرة من الزمن أن تفعل ذلك إلا بتوفرها على نظام اقتصادي مزدهر كان النشاط التجاري أحد ركائزه. وذلك النشاط ازدهر بفضل السياسة الاقتصادية التي انتهجها حكام الدولة الحمادية ببناء عدة موانئ لتسهيل عملية التصدير والاستراد ، فضلا عن وجود مراكز تجارية كبرى والتي ساهمت في تنمية المبادلات التجارية ، كما كان للموقع الجغرافي المميز للدولة اسهام كبير في رفع النشاط التجاري ومنافسته بالدول الاروبية آنذاك ، فضلا عن العامل السياسي الذي وفر الامن والاستقرار خلال هذه الفترة.

كلمات مفتاحية: الدولة الحمادية، النشاط التجاري، العصر الوسيط، العلاقات الدولية، الاقتصاد

Abstract: Foreign trade was long considered a fundamental pillar of the Hammadid economy. It flourished during this period and enabled the state to establish and reinforce political, cultural, and even social ties with many other nations. The Hammadid State, which extended its influence and control over the central Maghreb for a significant period, was able to achieve this due to a prosperous economic system, with commerce playing a key role.

This trade activity expanded notably as a result of the economic policies adopted by Hammadid rulers. They built several ports to facilitate export and import operations. In

addition, major commercial centers were established, which played a central role in developing trade exchanges. The state's strategic geographic location also contributed to boosting its commercial activity and positioning it as a competitor among European states of the time. Furthermore, political stability and security during this era supported the flourishing of external trade.

Keywords: Hammadid State; trade activity; medieval period; international relations; economy.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يعد موضوع النشاط التجاري الحمادي ودوره في توطيد الصلات وتمتين العلاقات الخارجية بين الدول خلال العصر الوسيط من اهم المواضيع التجارية الاقتصادية الهامة، اذ يندرج ضمن الدراسات الاقتصادية وتاريخ العلاقات الخارجية، التي لقيت في الفترة الاخيرة عناية كبيرة من الباحثين واعطت للتاريخ اكثر صبغة وشمولية، ،وذلك بتاريخ الانسان في علاقته بالانسان، وكذا انشغالهم بتأريخه في علاقاته التجارية والاقتصادية.

في هذا الاطار جاءت هذه الدراسة الموسومة النشاط التجاري الحمادي ودوره في توطيد الصلات وتمتين العلاقات الخارجية بين الدول خلال العصر الوسيط.

ومن هذه النظرة المؤسسة ادركنا ما لهذه الدراسة من اهمية بارزة تكمن في محاولة تبيان اهمية التجارة الخارجية في رسم العلاقات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والثقافية خلال العصر الوسيط للدولة الحمادية.

على ان اختياري للموضوع كان لاجل الرغبة العارمة في الكتابة عن هذا الموضوع الاقتصادي، والاشتغال به تاريخا وواقعا يرتكز في اغلب معطياته على الجانب الاقتصادي والدبلوماسي، كما كان اختيار فترة الدراسة – العصر الوسيط - له مايبرره، كون ان هذه الفترة شهدت ازدهارا علميا وتجاريا و انفتاحا ثقافيا .

فكان البحث في هذا الموضوع هو اتجاه الى دراسة التجارة الخارجية للدولة الحمادية وتاثيرها على كافة الميادين.

وتاسيسا لما سبق ذكره عن موضوع هذه المقالة ومايطرحه من اشكالات عديدة باعتباره موضوعا له تاثير عميق على الناحية الاقتصادية والعلاقات الخارجية سيتم التركيز في هذه الدراسة على دور النشاط التجاري في تقارب الصلات الثقافية والاقتصادية بين الدولة الحمادية والدول الاروبية والاسلامية خلال الفترة لوسيطة ؟

بناء على ذلك درسنا الموضوع وفق منهج علمي قائم على استقراء المادة المصدرية وتحليلها، لاننا امام ندرة المادة الخبرية التي اهتمت بواقع العلاقات التجارية والثقافية.

قبل التطرق إلى النشاط الاقتصادي للدولة الحمادية وعلاقتها الخارجية مع الدول، كان لابد لنا أن نمهد لموضوعنا هذا بإعطاء لمحة تاريخية عن قيام هذه الدولة بذكر حدودها الإدارية والأقاليم التابعة لها سياسيا وإداريا، وبالرغم من شح وقلة المصادر المؤرخة لها إلا أننا سنحاول جاهدين استقراء بعض النصوص التي وردت بين طيات المتون المصدرية المتوفرة لدينا، والتي احتوت قرائن تشير إلى قيام هذه الدولة واتساع نشاطها الاقتصادي.

يقول ابن خلدون " هذه الدولة شعبة من دولة آل زيري وكان المنصور بلكين قد عقد لأخيه حماد على أشير والمسيلة، وكان يتداولها مع أخيه يطوفت وعمه أبي البهار. ثم استقل بها سنة سبع وثمانين وثلاثمائة أيام باديس من أخيه المنصور..." (خلدون، 2000) وقال أيضا" ولم يزل حماد أيام باديس هذا أميرا على الزاب والمغرب الأوسط ومتوليا حروب زناتة (خلدون، 2000).

يظهر من خلال النصين أن الزيريون أسندوا تسيير المغرب الأوسط البعيد عنهم نوعا ما، والأصعب إدارة إلى حماد بن بلكين. أين عظم عناءه بهذه المهمة التي تسلم مقاليدها، وازداد نفوذه باتخاذ جراح زناتة وبانتصاراته عليها، فعبر عن طموحه السياسي والعسكري، وبالتالي عرض السلطة المركزية إلى التصدع، وتمكن شيئا فشيئا، أن يستقل عن القيروان إداريا وعزز استقلاله السياسي والمذهبي (فيلالي، 2012).

يرجع نسب مؤسس الدولة الحمادية حماد بن بلكين إلى زيري بن مناد ابن منقوش بن (صنهاج) (خلدون، 2000، صفحة 109) الأصغر بن صنهاج الأكبر.

فمن صنهاجة انحدرت الدولة الزيرية التي كانت الأسرة الحمادية أحد ضلعي الحكم فيها، وكان حماد بن بلكين واحدا من أحفاد زيري أشهر أمراء صنهاجة (عويس، 1991)

يعتبر الكثير من المؤرخون أن التاريخ الرسمي والعملي للدولة الحمادية هو عام (408هـ /1018م)، لكن الفترة الممتدة بين (395هـ-408هـ) كانت الفترة الحاسمة التي تمخض عنها قيام هذه الدولة (عويس، 1991، صفحة 47).وحدود هذه الدولة لم تكن ثابتة ومستقرة دائما بل كانت متغيرة وسريعة التقلب، شأنها شأن الكثير من الدول خلال العصر الوسيط، فكان مجالها بين مد وجزر إذ يتسع حينا ويضيق أحيانا، فحسب قول الدكتور فيلالي في أحد أقواله بأنه"قد بلغت حدودها في أقصى اتساع لها في القرن الخامس الهجري /11م، بحيث وصلت جنوبا أطراف الصحراء، وشرقا إلى بلاد الجريد من الديار التونسية" (فيلالي، 2012، صفحة 72).

كما ذكر ابن خلدون مرة أخرى في موسوعته المعروفة بالعبر حدود الدولة التي جعلها تتكون من "المسيلة وأشير وطبنة الزاب وتاهرت ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة وما يفتح من المغرب الأوسط"[1] (خلدون، 2000، الصفحات 324-350).

وكان الدكتور عويس قد أشار إلى هذا الأمر من خلال استنتاجه الذي أوضح فيه أن حدود الدولة كانت على شكل مثلث قاعدته "ورقلة" في الجنوب، وحده الشرقي "بونة" وخليج سكيكدة، وحده الشمالي الغربي- مع بعض التجوز- السيق-(سيوسيرات) (ط2، 1991، صفحة 83).

2. **الأنشطة الاقتصادية ودورها في مجال الدولة الحمادية:**

وهب الله المغرب الأوسط الكثير من الخيرات الطبيعية التي مكنت جل الدول التي قامت على أرضه من تنويع إنتاجها الزراعي والصناعي وتسويقه إلى الخارج، لاسيما في عهد الحماديين الذي عرف عصرهم بالعصر الذهبي نتيجة لنشاطهم المتنوع في شتى المجالات

الاقتصادية من كذا زراعة وصناعة وتجارة (المغربي، 2015). والفضل يعود إلى جهود مؤسسها حماد بن بلكين الصنهاجي، الذي عمل على إرساء قواعدها وتطويرها. فالدارس للجانب الاقتصادي لها يلحظ أنها كانت تعيش رقي اقتصادي كبير، فيه انتقل الناس من حياة البداوة إلى الحضارة. أين نستطيع أن نعتبر هذه الدولة من أعظم الدول التي أكسبت المغرب العربي حضارة مادية نادرة المثال.

1.2 النشاط الفلاحي:

هذا النشاط الذي قال عنه ابن خلدون في مقدمته انه من ضروريات الصنائع "فأما الضروري فكالفلاحة..." وقال أيضا" هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب، بالقيام على إثارة الأرض لها و ازدراعها وعلاج نباتها، وتعهده بالسقي، والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه..." وقال أيضا" هي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا" (خلدون ا.، 2012)

فالمتتبع للإشارات التي وجدت في المصادر التاريخية القليلة حول موضوع الفلاحة بالدولة الحمادية يلحظ أن هذا النشاط قد حقق اكتفاء ذاتيا وتطورا كبيرا إلى درجة أن الدولة استطاعت أن توجه إنتاجها في هذا المجال إلى التصدير.

ومن المدن التي كان لها الريادة في هذا المجال القلعة و بجاية، ففي القلعة التي مثلت دور العاصمة الأولى لوقت طويل" فواكه ونعم يلحقها الإنسان بالثمن اليسير، وبلادها وجميع ما يضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب، لأنها بلاد زرع وخصب، وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت"، كما ذكرها الإدريسي في قوله " من اكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا، وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا، وأحسنها قصورا ومساكن وأعمرها فواكه وخصبا، وحنطتها رخيصة، ولحومها طيبة وسمينة وفلاحتها إذا أكثرت أغنت وإذا قلت كفت ، فأهلها ابد الدهر شباع وأحوالهم صالحة" (الادريسي، دت)، أما بجاية فاحتلت كذلك مكانة كبيرة في الإنتاج الزراعي لأكثر من نصف عمر الدولة، فقد كان بها بواد ومزارع، وكانت الحنطة والشعير كثيرين بها، وكذلك التين كان بها منه ما يكفي لكثير من البلاد" (عويس، 1991)،

وكان صاحب الاستبصار قد أشاد بذلك من خلال قوله"وهي كثيرة الفواكه والثمار وجميع الخيرات" (مجهول، دت) كما قال في شأنها الأستاذ لقبال موسى "فكانت تختلف إليها المتاجر برا وبحرا ويأتيها التجار من مختلف الأفاق" (لقبال، ميزات بجاية واهمية دورها).

ومن أنواع الفواكه والخضر والنباتات الموجودة ببجاية والتي كان قد أشاد بها الكثير من المؤرخين نذكرها في الجدول التالي:

النباتات	الفواكه	الخضر	البقول	الحبوب
الزيتون الرياحين الياسمين النرجس	العنب/ التين/ الرمان/ السفرجل التفاح/الكمثرى/ الزعرور/المشمش التوت القراصيا الاترج الليمون النارنج	اللفت الباذنجان	الفول العدس الحمص اللوبيا	القمح الشعير الذرة

المصدر: (ج5 ا.)

وما يعزز القول أكثر شهادة صاحب الاستبصار في قوله" وكان بالقلعة معامل الخزف والزجاج، لان أرض الدولة الحمادية ساحلية وتلية وصحراوية، بها المنتوج الزراعي المتنوع، والمادة الأولية الخام من طين ورمال، وبها حقول للفواكه والحبوب والزيتون والنخيل، ويكثر بأرضها الأصواف والقطن والكتان، والأنعام من ابل وبقر وأغنام" (مجهول، دت، صفحة 58). ومدينة المسيلة هي الأخرى كانت خلال القرن 5ه/11م منطقة زراعية لأنواع متعددة من المزروعات، وتربية المواشي (فيلالي، 2012، صفحة 75)، كما تواجد في بقية المدن الحمادية النشاط الزراعي بكثافة ففي مدينة تنس توجد العديد من أنواع الفاكهة والحنطة وسائر أنواع الحبوب والسفرجل (مجهول، دت، صفحة 223) ،وحسب شهادة ابن حوقل وجدت في مدينة " مرسى الدجاج القمح والفواكه والشعير والتين والتمر، وفي بونة الفاكهة والقمح

والشعير والكتان والغنم والحوت والصوف والعسل" (حوقل)، والشيء الملاحظ من هذه النصوص أن النشاط الزراعي كان مزدهرا في العديد من المدن الحمادية.

2.2 النشاط الصناعي:

قال ابن خلدون في شأنها "اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري" (خلدون ا.، المقدمة)، والدولة الحمادية تميزت بكثرة الصنائع وذلك لتوفر الثروة الزراعية والحيوانية، الأمر الذي ساهم في قيام صناعات كثيرة ومتنوعة.

وما يعزز طرحنا هذا هو شهادة بعض المؤرخين فهذا البكري وصاحب الاستبصار يوردون أن بجاية كان يتواجد بها كل من الخشب والحديد ومرسى الدجاج تتوفر على المرجان (مجهول، دت، الصفحات 176-127/178) ، ويظهر أن نبات المرجان كان من ابرز النباتات التي زاد شأنها في اقتصاد الدولة الحمادية .

ومن بين الصناعات التي وجدت بالقلعة منها: لبابيد الطليقان جيدة غاية الجودة، وبها مصانع لنسج الأكسية القلعية الصفيقة النسج الحسنة المطرزة بالذهب، والسجاجيد والملابس الفاخرة، كما وجدت صناعات أخرى مثل صناعة الخزف والبلاط والتحف الفنية ، وصناعة الزجاج والعطور والصحاف وهو ما يؤكده المؤرخ الفرنسي جورج مارسييه نقلا عن الأستاذ فيلالي في قوله" ويظهر أن صناعة الفخار يومئذ بلغت مبلغا عظيما، كما يظهر عليها تأثير الفرس ومصر فنا وعملا ، ووجد بها من آثار ذلك كثير" (فيلالي، 2012، صفحة 225)

والظاهر أن شهادة صاحب الاستبصار لها ما تؤكد أن بجاية هي الأخرى كانت نشيطة في الجانب الصناعي حيث قال أن بجاية احتوت على دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي (مجهول، دت، صفحة 130) وهو ما يوضح أن الميدان الصناعي كان نشيطا باعتبار ما حفلت به من صناعات مختلفة وصناع مهرة.

كما قامت بها عدة صناعات أخرى مثل الصناعات الفضية والنحاسية كحاملات الشموع والأباريق والأثاث والعديد من الأشياء التي يستعملها الإنسان في حياته اليومية (عويس، 1991، صفحة 226).

3.2 النشاط التجاري:

يعرف ابن خلدون التجارة على" أنها محاولة الكسب بتنمية المال، بشراء السلع بالرخص، وبيعها بالغلاء أيا ما كانت السلعة، من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش، وذلك القدر النامي يسمى ربحا..." (خلدون ا.، المقدمة، 2012، صفحة 375)، وهي المهنة التي أحبها المغاربة ودأبوا على العمل فيها.

كانت التجارة تمثل الشريان الحيوي لاقتصاد الحماديين وخاصة بعد تدهور قطاع الزراعة وهجرة اليد العاملة البربرية إلى المدن الساحلية (المغربي، 2015، صفحة 01)، وقد ساعدت عدة ظروف سياسية جغرافية واقتصادية على أن تزدهر التجارة، فالظروف السياسية المحيطة بالدول المجاورة لهم كا بني عمومتهم الزيرين والمرابطين، وسياستهم في المسالمة سواء مع العرب أو المسحيين وكذا كان للموقع الجغرافي الذي يتمتعون به من جهة واتصاله بالصحراء الكبرى من جهة أخرى ، وكثرة المرافئ والمراسي، وانتشار الأسواق والمحطات التجارية، كلها عوامل منحتهم تفوق تجاري داخلي و خارجي (عويس، 1991، صفحة 226) وعملت على توفير اتصال تجاري بري وبحري واسع مع الكثير من الأقطار المجاورة والبعيدة .

انتهجت الدولة الحمادية سياسة تشجيع التجارة في إطار سياستها الاقتصادية الرامية إلى ربط علاقات وصلات متينة بينها وبين الدول المجاورة لها، فكانت علاقتها طيبة مع بني صمادح في المرية، فضلا على أن الحماديين قاموا بدور الوسيط للسلع القادمة من السودان وأصبحوا من أهم المراكز التجارية لمنتجاتها، كما أقاموا علاقات تجارية مع المدن الايطالية (عويس، 1991، صفحة 02) لأجل تسويق منتجاتهم الزراعية والصناعية خارج حدودهم، والانفتاح على العالم الخارجي.

وكان نتيجة تلك السياسة الاقتصادية التي اعتمدها الحماديون أن أضحت المدن الحمادية وخاصة العاصمتين القلعة وبجاية إلى جانب كل من قسنطينة والجزائر والمسيلة وتاهرت من أهم المراكز التجارية في المغرب الإسلامي وقتئذ (،، 1984). وشهادة بعض

المؤرخين الجغرافيين تؤكد ذلك فهذا صاحب الاستبصار يقول عن مدينة بجاية" مرسى عظيمة يحط فيها سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها" (،، 1984، الصفحات 229-230)، وما يفهم من هذا النص أن حركة النقل البحري كانت كبيرة بسواحل بجاية مما ساعد على ازدهار التجارة.

أما الإدريسي فقد تحدث عن مدينة قسنطينة ووصف حال التجارة بها في قوله" أسواق وتجار وأهلها مياسير ذوو أموال وأحوال واسعة ومعاملات مع العرب" (،، 1984، صفحة 230)كما أشاد بالمسيلة حسب تعبيره" عامرة بالناس والتجار"وعن مدينة الجزائر قال" عامرة أهلة وتجارتها مربحة وأسواقها قائمة وصناعتها نافقة..." (،، 1984، صفحة 230).

وبالمثل ذكر البكري القلعة في قوله" وهي اليوم مقصد التجارة، وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر وسائر بلاد المغرب" (ط1، 2003،)، ويستنتج من نص البكري أن القلعة أصبحت محط التجار لاسيما خلال القرن 5ه/11م وهو الأمر الذي عاد بالخير واليسر على أهل القلعة، فأصبح تجارها ميسوري الحال بفضل السلع القادمة من الشرق والغرب والجنوب فعادت عليهم بثروة كبيرة مما جعل القلعة ترتقي إلى عاصمة للدولة الحمادية.

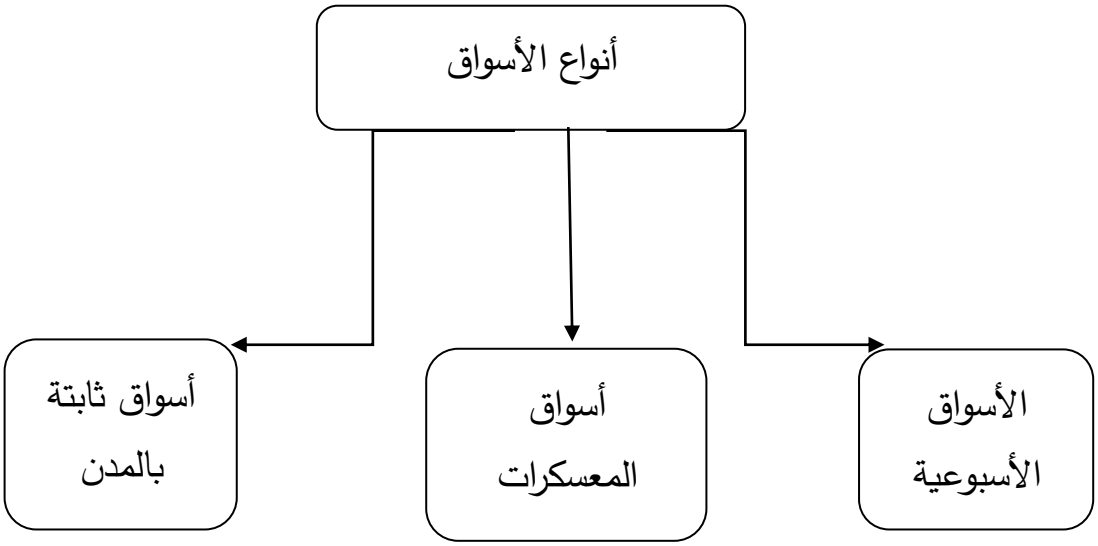
- التجارة الداخلية:

لقد ساعدت الكثير من العوامل على نشاط الحركة التجارية وإسهامها في شد عضد الاقتصاد الحمادي، خاصة وأن النشاط التجاري يعتبر من أهم الأنشطة الاقتصادية التي تدر الكثير من الرخاء على الدول، ومن تلك العوامل: مصالحة العرب على نصف محاصيلهم وإعفاء أهل بجاية من الضرائب على التجارة الداخلة إلى المدينة، ولعل نظام الطوائف المهنية المتخصصة الذي ميز العصور الوسطى والذي يعرف بنظام النقابات، تتجمع كل طائفة في مكان واحد، وتتسمى بنوع الحرفة أو التجارة التي تمارسها، وكانت هذه التنظيمات المهنية

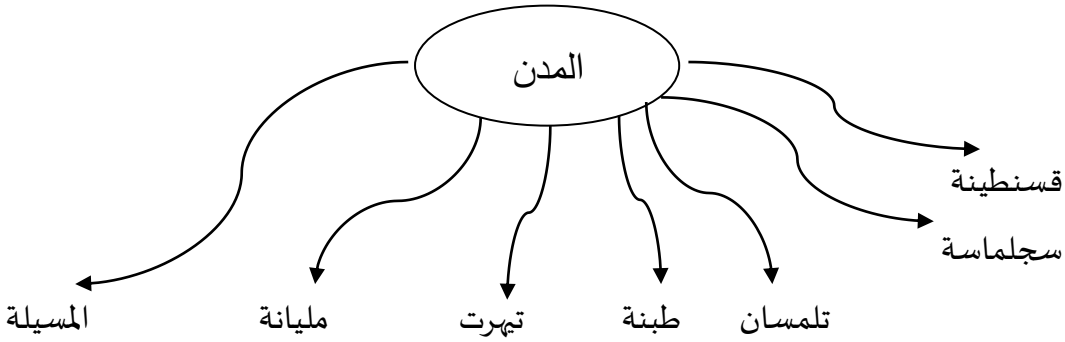
زمن العهد الفاطمي، تتمتع بكثير من الحرية والرخاء إذ كانت السلطة الاسماعلية تعترف بها، وبالرغم من سكوت المصادر عن هذه التنظيمات في المغرب الأوسط، إلا أنه من المرجح أن يكون تجار القلعة وحرفيها قد مارسوا هذه التنظيمات، كغيرهم من التجار المسلمين الوافدين من شتى الأقطار (فيلالي، 2012، الصفحات 79-80).

واستفادوا منه في تنظيم عملهم، وعلى الرغم من أن المدن التي كانت تدين بالمذهب السني والذي عرف بأنه كان يفرض قيودا وزجرا أحيانا وبمراقبة شديدة على أصحاب الحرف والطوائف نتيجة التشكك وسوء الظن في علاقات السلطة مع عالم الشغل، ولكن الظاهر أن تلك العدوانية لم تكن سائدة عند الحماديين لتمسكهم بتعاليم الإسلام الذي يشجع ويحث على التجارة شريطة عدم إدخال الحرام فيها، وهو الأمر الذي سهل من حركة التجارة وجعلها مفتوحة لكل الأجناس والتيارات بمختلف أعراقهم، في وقت كان الغرب المسيحي يتمسك بعقائد جامدة ومغلقا على نفسه (فيلالي، 2012، الصفحات 79-80)، كما منح الأمن الذي توفر للمجتمع الحمادي فرصة لازدهار قطاع التجارة ، بشق طرق مواصلات كثيرة ساعدت على إحداث تكامل اقتصادي داخلي للدولة وهي تتبادل فيما بينها منتجاتها المختلفة.

أولا : الأسواق:



أهم المدن التجارية بدولة بني حماد



- التجارة الخارجية:

كان لكثرة الإنتاج الوفير والمتنوع في مختلف المجالات الحرفية والصناعية والزراعية من الواجب تسويقه إلى مناطق الاستهلاك سواء داخليا أو خارجيا، و لايتم ذلك إلا عبر مسالك وطرق برية أو بحرية لربط مراكز الإنتاج ومناطق الاستهلاك (بغدادغربي، 2015).

وكما أسلفنا الذكر سابقا فقد ساهمت عدة عوامل في رسم خريطة الطرق التجارية في بلاد المغرب الإسلامي على المستوى الداخلي، وما يربطه منها بالمناطق الأخرى على المستوى الخارجي، منها الطبيعية والاقتصادية.

فبالنسبة للجانب الاقتصادي، يظهر أن أغلب الطرق التجارية تمر على المدن البارزة، والتي لها مكانة على المستوى الاقتصادي، ذلك لأنها تتوفر على مصادر الإنتاج الموجه إلى التسويق وتنوعه، أو على المستوى التجاري باعتبارها مراكز للتسويق في حد ذاتها (بغدادغربي، 2015، صفحة 92).

أما بالنسبة للعامل الجغرافي؛ فهو عامل جد مهم إذ تخضع له الطرق والمسالك التجارية بصورة كبيرة، فالطرق التجارية تبقى رهن الظروف الطبيعية، من كذا توفر آبار المياه عبر الطرق للقوافل التجارية المارة في المناطق ذات المناخ الجاف والقاسي لاسيما الصحراوي، فضلا عن توفر المراعي ومناطق الكلأ لوسائل النقل التقليدية كالخيل والإبل

(بغدادغربي، 2015، صفحة 93)، وهي كلها معطيات تدفعنا إلى الحديث عن أهم الطرق والمسالك التجارية للدولة الحمادية مع دول بلاد المغرب والمشرق الإسلامي والأندلس ودول العالم المسيحي، وأثر ذلك التعامل التجاري في توطيد العلاقات بين الدولة الحمادية والدول المجاورة والبعيدة.

3. النشاط التجاري الحمادي ودوره في توطيد الصلات وتمتين العلاقات الخارجية بين مختلف الدول

تعدى نشاط تجار المغرب الأوسط الحمادي الإطار المحلي إلى العالم الخارجي، فسارت قوافلهم في جميع الضروب، تحمل سلعا مختلفة في ذهابها وإيابها، وقد كانت هذه الحركة نشطة مزدهرة مع العديد من دول العالم.

- التعامل التجاري الحمادي مع دول المغرب الإسلامي والأندلس:

تعامل الحماديون مع دول المغرب الإسلامي(الأقصى والأدنى) عبر شبكة من الطرق التجارية، فنجد مثلا الطريق التجاري الرابط بين سجلماسة والمغرب الأقصى إذ يمر بموضع آغمات الذي اشتهر بالنحاس (المغربي، 2015، صفحة 21) كما مثلت مدن المغرب الأوسط معبرا داخليا لقوافل تسير من المغرب الأقصى نحو المغرب الأدنى مثل طريق فاس –المسيلة، فحسب قول ابن حوقل" وقد أتيت بهذا الطريق مقلوبا لأني سلكته من المغرب إلى افريقية" (النصيبي، 1992) ، والطريق من القيروان إلى بونة ومنها إلى تنس ومنها إلى وهران (ج1، 2003، الصفحات 232-247).

وبالمثل توطدت العلاقات التجارية بين الحماديين والزيريين رغم التوتر السياسي الذي كان سائدا بين الأسرة الحاكمة، فكان خشب جبال الرحمن ومدينة بونة من السلع المهمة التي يقوموا الحماديون بتصديرها للزيريين، كما كانوا يصدرون المرجان للفاطميين (،، 1984، صفحة 232).

وتنامت العلاقات التجارية كذلك بين الحماديين والمرابطين عبر ثلاثة طرق: الطريق الساحلي : على المحيط الأطلسي من أغادير إلى نواقشط حتى مصب نهر السنغال.

الصحراء: من السودان الغربي إلى أواسط الصحراء شرقا .

الأوسط: يمتد من آواسط المغرب إلى قلب الصحراء يبدأ من سجلماسة وينتهي في النيجر (،، 1984، صفحة 22).

وما يلاحظ أن مدن المغرب الأوسط الحمادي مثلت حلقة الوساطة بين تجارة دول المغرب الأقصى والأدنى وتجارة السودان الغربي .

كما عظم التبادل التجاري بين الدولة الحمادية والأندلس بفضل العديد من العوامل منها كثرة المراسي والمعابر منها: الطريق الرابط بين تلمسان وسبتة مارا بفاس حيث تعبر المراكب من سبتة إلى الأندلس (،، 1984، صفحة 23)، ومن المدن التي اشتهرت بإمداد الأندلس بما يلزمها من البقر والغنم نجد مدينة تاهرت، فضلا عن تصديرها لها الحنطة عن طريق مرسى تنس ومرسى وهران (،، 1984، صفحة 24)، وللتدليل أكثر سنقوم برسم جدول لأهم المراسي والموانئ الحمادية التي كانت موجودة بجانب ميناء بجاية الرئيسي وما يقابلها من الشواطئ الأندلسية.

المراسي الحمادية	المراسي الأندلسية
أرشغول	المرية
مرسى الماء المدفون	مرسى الراهب
مرسى وهران	مرسى أشكورش
مرسى عين فروخ	مرسى أقلة
مرسى قصر الفلوس	مرسى قرطجنة
مرسى مغيلة	مرسى فبطيل تدمير
مرسى تنس	مرسى شنت بول
مرسى شرشال	مرسى مدبرة

مرسى جزائر بني مزغنة	مرسى بنشكلة
مرسى الدجاج	مرسى ميورقة
مرسى بجاية	مرسى طرطوشة

ويلاحظ من خلال عرضنا هذا لأهم المراسي أن التبادل التجاري كان كبيرا بحكم عدد المراسي التي كانت قائمة بينهم .

- التعامل التجاري الحمادي مع مصر وبلاد المشرق:

ويبدو أن العلاقات التجارية بين دول المشرق والحماديين كانت وطيدة وكبيرة ، إذ كانت معابر المغرب الأوسط طرقا للتجار المشارقة بحرا، مثل بجاية والإسكندرية في كثير من المرات لأن الطرق البرية كانت غير آمنة أحيانا (،، 1984، صفحة 233).

ولعل ما ساعد على تعزيز الروابط التجارية بين البلدين العامل الجغرافي الذي ساهم في عملية الاتصال، لان الصحراء الغربية لمصر وصحراء المغرب العربي الكبرى الممتدة من برقة والإسكندرية يقطنها العديد من القبائل البربرية والعربية التي لعبت دور الوسيط في التجارة بين البلدين ، والظاهر أن مصر لعبت دورا كبيرا في نقل السلع إلى بلاد المشرق من المغرب، ولعل ما ساعد على ذلك هو بقاء التعامل بالعملة الفاطمية مع بلاد المشرق، ومن المواد التي كانت تصدر بين البلدين نجد المرجان وتجارة العبيد والذهب الذي كانت مصر بحاجة إليه لسك العملة، على أن المغاربة كانوا يجلبون من مصر التوابل والعطور والحبوب بأنواعها لاسيما أوقات المجاعات والقحوط (المغربي، 2015، الصفحات 33-34).

- التعامل التجاري الحمادي مع بلاد الغرب السوداني

تعود العلاقات التجارية بين بلاد السودان وبلاد المغرب إلى فترة قديمة جدا، إلا أنها لم تكن منتظمة بين المنطقتين قبل القرن الثاني الهجري /7م (بلهواري، 2010)، أما عن العلاقات التجارية السودانية خلال القرن الرابع الهجري والذي مثل قرن الانتعاش الاقتصادي عموما من جهة، وبالتنافس والصراع لأجل التحكم في منافذ تجارة الذهب

والرقيق والملح من جهة أخرى (بلهواري، 2010، صفحة 31)، كانت تحكمها شبكة من الطرق التجارية نذكر منها:

طريق سجلماسة- الطريق الغربي- ويربط المغرب الأقصى بالسودان الغربي ، واستغرق المسير فيه خمسة وثمانين يوما (بلهواري، 2010، صفحة 31)، وكان من السلع الأكثر تجارة بين هذين البلدين تجارة الذهب خاصة بعد نفاذ مناجم سجلماسة ، وأصبحت الممر الذي يسلكه معظم التجار من السودان إلى المغرب الأوسط (المغربي، 2015، صفحة 37).

طريق ورجلان –أو الطريق الأوسط- ويربط تيهرت بالسودان الغربي، بواسطة مسلكين رئيسيين،الأول غربي يمر عبر سجلماسة ، والثاني شرقي بالنسبة للاول ، ويمر عبر وارجلان فالأول تسير به القوافل التجارية من تيهرت نحو فاس فم الى سجلماسة والثاني يخرج منه التجار من مدينة تيهرت نحو حصن ابن كرم عبر متيجة ومنه الى امارة هاز ثم الى بلد بني دمر ، ثم يصلون الى بوابة بلاد الزاب من الجهة الغربية وهي أدنة، ومنها إلى المسيلة ، ثم الى طبنة ومنها الى بسكرة ثم الى ورجلان ، مرورا بعدة مناطق وصولا الى المراكز السودانية (بلهواري، 2010، صفحة 32)، ومن السلع التي كان التجار يحملونها من السودان نجد جلود الماعز المدبوغ والصمغ ونظرا لازهار التجارة بهذه المنطقة وتوافد العدد الكبير من اتجار اليها شيدت بها الفنادق لاستقبال التجار الاجانب فيها (المغربي، 2015، صفحة 38).

طريق تاهرت-الطريق الشرقي-وهو يربط مناطق طرابلس بالسودان الغربي ، مارا بجبل نفوسة في اتجاه مدينة غدامس، ثم إلى تادمكة ومنها يصل إلى منحى نهر النيجر (بلهواري، 2010، صفحة 32).

وكان من أنواع المبادلات التجارية بين مدن المغرب والسودان بضائع مختلفة ومتنوعة كان بعضها مغربية والأخرى مشرقية ، فضلا عن السلع والبضائع من حوض بحر الروم ، فكانت الحبوب والتمر من السلع الأساسية التي نقلها التجار المغاربة الى بلاد السودان لعدم توفرها عندهم ، أما عن المغاربة فكانوا يصدرون الى هذه المناطق الجلود والأواني الفخارية

وكذا معادن منها النحاس الأحمر والملون والأكسية والثياب الصوفية والعطور وآلات الحديد المصنوع، ومن أهم المواد التي كان التجار المغاربة يحملونها إلى بلاد السودان مادة الملح الذي كان يستعمل في تجفيف الأسماك والحيتان التي تعتبر قوام معيشتهم (بلهواري، 2010، صفحة 33).

- التعامل التجاري الحمادي مع صقلية والمدن الايطالية

الظاهر أن العلاقات التجارية الايطالية الحمادية كانت في البداية ضعيفة بسبب الهجومات المتبادلة بين قراصنة الطرفين في البحر الأبيض المتوسط ، إلا أنها تحسنت نسبيا عقب احتلال النورمان للمهدية ، حيث قامت صقلية بدور الوسيط باعتبارها محطة رئيسية تسطف فيها السفن الايطالية لتجدد مؤنها ثم تستكمل سيرها إلى السواحل المغربية (بلهواري، 2010، صفحة 41)، ونشطت حركة تجار جنوة في بجاية ، إذ سيطر الجنويون على تجارة المغرب الخارجية البحرية ، كما ابرمت معاهدات واتفاقيات تجارية بينهم وبين بجاية، مثل ما عقده الناصر بن علناس (445-481هـ/1069-1089م) معاهدة مع بيزا وأعطى تجارها العديد من الامتيازات، وما يلاحظ من خلال بعض الدراسات أن العلاقة التجارية بين بجاية وصقلية كانت جيدة ،والتي تعد الممر التجاري الذي تغدو عليه التجارة الحمادية الأوربية وفي نفس الوقت تقوم بالتبادل التجاري مع مدن المغرب الأوسط من جهة ومع المدن الايطالية من جهة أخرى (بلهواري، 2010، صفحة 41).

بناء على ما تم ذكره حول النشاط التجاري بين الدولة الحمادية والدول المجاورة والبعيدة لها ، يتضح لنا فضل ذلك النشاط على العديد من المجالات سواء السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية .

والظاهر ان بفضل تلك العلاقات الخارجية استطاعت الدولة الحمادية أن تبرز مكانتها الاقتصادية بين مصاف دول العالم المسيحي، واستطاعت أن تتعايش مع مختلف الأوضاع السياسية المحيطة بها، كما تمكنت من استقطاب العنصر الأندلسي الخبير بالفنون الهندسية والفنية والاستفادة منه.

وكان للدور الوسيط التجاري الذي مثلته على المستوى الخارجي، وسياستها الرامية إلى الانفتاح على العالم الخارجي أن مكنها من الانتفاع الاقتصادي وذلك من خلال ربط معاهدات واتفاقيات تجارية أين كانت تتحصل أحيانا على بعض الامتيازات.

وصفوة القول أن النشاط التجاري الخارجي للدولة الحمادية مثل أساسا من أسس الاقتصاد الحمادي الذي امتاز بالرواج مع أغلب الكيانات السياسية المجاورة للدولة، أين عمل على توطيد وتمتين الصلات والعلاقات السياسية والثقافية وحتى الاجتماعية بين مختلف الأجناس، ولم يكن للدولة الحمادية التي بسطت نفوذها وسيطرتها على بلاد المغرب الأوسط لفترة معتبرة من الزمن أن تفعل ذلك إلا بتوفرها على نظام اقتصادي مزدهر كان النشاط التجاري أحد ركائزه.

4. قائمة المصادرة والمراجع:

1. ابو عبيد الله البكري ج1. (2003). ، *المسالك والممالك* (الإصدار جمال طلبة). بيروت ،ط1: دار الكتب العلمية.
2. ابي القاسم ابن حوقل النصيبي. (1992). *صورة الأرض*. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
3. الادريسي) .دت .(*القارة الافريقية* .مكتبةالثقافة الدينية.
4. بغدادغربي. (2015). *العلاقات التجارية للدولة الموحدية*. وهران.
5. حوقل, ا .(s.d.) .*صورة الارض* .
6. خلدون, ا .(2012) .*المقدمة* .لبناندار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
7. خلدون, ا .(s.d.) .*المقدمة* .
8. رشيد بورويبة، ،. (1984). *الجزائر في التاريخ –العهد الاسلامي من الفتح الى بداية العهد العثماني-الحياة الاقتصادية للدولة الحمادية*. الجزائر،.
9. ريحاب محمد كمال محمداحمد المغربي. (2015). *التجارة في عصر بني حماد*. دمياط: كلية الاداب ،قسم التاريخ.

10. ط1, ا. ع2003) ،. (*المسالك والممالك* .بيروت.

11. ط2, ع. ا .(1991) .*دولة بني حماد* .القاهرة: دار الصحوةللنشر والتوزيع.

12. عبد الرحمن ابن ج6 خلدون. (2000). *ديوان المبتدا والخبر ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر (العبر)*. دار الفكر للطباعةوالنشر والتوزيع.

13. عويس, ع. ا .(1991) .*دولةبني حماد* .ط2 القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع.

14. فاطمة العدد 10. بلهواري. (2010). ، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال الرن الرابع الهجري/10م،. *مجلة كان التاريخية*.

15. فيلالي, ع. ا .(2012) .*دراسات في تاريخ الجزائر* .الجزائر: دار الهدى عين مليلة.

16. لقبال, م) .ع/19 .(*ميزات بجاية واهمية دورها* .الجزائر.

17. لقبال, م .(.s.d) .ميزات بجاية واهمية دورها .*مجلة الاصالة* .الجزائر.

18. مجهول) .دت .(*الاستبصار في عجائب الامصار* .دار الشؤون الثقافية العامة.